والاقتضاب وإن كان مذهب المخضرمين لكن الشعراء الإسلامية أيضا قد يتبعونهم في ذلك ويجرون
على مذهبهم وإن كان الأكثر فيهم التخلص كقوله أي قول أبي تمام وهو من الشعراء الإسلامية في الدولة العباسية
لو رأى الله أن في الشيب خيرا جاورته الأبرار في الخلد شيبا جمع أشيب وهو حال من الأبرار ثم انتقل
من هذا الكلام إلى ما لا يلائمه فقال كل يوم تبدي صروف الليالي خلقا من أبي سعيد غريبا ومنه أي من الاقتضاب
ما يقرب من التخلص في أنه يشوبه شيء من الملائمة كقولك بعد حمد الله أما بعد فإني قد فعلت كذا وكذا فهو
اقتضاب من جهة أنه قد انتقل من حمد الله والثناء على رسوله إلى كلام آخر من غير رعاية ملائمة بينهما لكنه
يشبه التخلص من جهة أنه لم يؤت بالكلام فجأة من غير قصد إلى ارتباط وتعليق بما قبله بل أتى بلفظ أما بعد أي
مهما يكن من شيء بعد حمد الله فإني فعلت كذا وكذا قصدا إلى ارتباط هذا الكلام بما سبق عليه وقيل هو أي
قوله بعد حمد الله أما بعد فصل الخطاب قال ابن الأثير الذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان أن
فصل الخطاب هو أما بعد لأن المتكلم يفتتح كلامه في كل أمر ذي شأن بذكر الله تعالى وتحميده فإذا أراد أن
يخرج منه إلى الغرض المسوق له فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد ومن الاقتضاب الذي يقرب من
التخلص ما يكون بلفظ هذا كقوله تعالى بعد ذكر أهل الجنة هذا وإن للطاغين لشر مآب فهو اقتضاب لكن
فيه نوع ارتباط لأن الواو بعده للحال ولفظ هذا إما خبر مبتدأ محذوف أي الأمر هذا أو مبتدأ محذوف
الخبر أي هذا كما ذكر وقد يكون الخبر مذكورا مثل قوله تعالى حيث ذكر جمعا من الأنبياء وأراد أن يذكر عقيبه
الجنة وأهلها هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب قال ابن الأثير لفظ هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو
أحسن من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام إلى كلام آخر ثم قال وذلك من فصل الخطاب الذي هو
أحسن موقعا من التخلص ومنه أي ومن الاقتضاب الذي يقرب من التخلص قول الكاتب عند إرادة الانتقال
من حديث إلى حديث آخر هذا باب فإن فيه نوع ارتباط حيث لم يبتدأ الحديث الآخر فجاءة ومن هذا
القبيل لفظ أيضا في كلام المتأخرين من الكتاب وثالثها أي ثالث المواضع التي ينبغي أن يتأنق فيها
الانتهاء فيجب على البليغ أن يختم كلامه شعرا كان أو خطبة أو رسالة بأحسن خاتمة لأنه آخر
ما يعيه السمع ويرتسم في النفس فإن كان مختارا حسنا تلقاه السمع واستلذه حتى جبر ما

وقع فيما سبق من التقصير كالطعام اللذيذ الذي يتناول بعد الأطعمة التفهة وإن كان مختارا خلاف ذلك
كان على العكس حتى ربما أنساه المحاسن المورودة فيما سبق كقوله أي قول أبي نواس في الخصيب بن
عبد الحميد وإني جدير أي خليق إذ بلغتك بالمنى أي جدير بالفوز بالأماني وأنت بما أملت منك
جدير فإن تولني أي تعطني منك الجميل فأهله أي فأنت أهل لإعطاء ذلك الجميل وإلا فإني
عاذر إياك في هذا المنع وشكور لما صدر عنك من الإصغاء إلى المديح أو من العطايا السالفة
وأحسنه أي أحسن الانتهاء ما آذن بانتهاء الكلام حتى لم يبق للنفس تشوق إلى ما وراءه
كقوله أي قول المعري بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل لأن بقاءك
سبب لكون البرية في أمن ونعمة وصلاح حال وقد قلت عناية المتقدمين بهذا النوع والمتأخرون
يجتهدون في رعايته ويسمونه حسن المقطع وبراعة المقطع وجميع فواتح السور وخواتمها واردة على
أحسن الوجوه وأكملها من البلاغة فإنك إذا نظرت إلى فواتح السور جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة
والتفنن وأنواع الإشارة ما يقصر عن كنهه وصف العبارة وإذا نظرت إلى خواتمها وجدتها في غاية الحسن
ونهاية الكمال لكونها بين أدعية ووصايا ومواعظ وتحميد ووعد ووعيد إلى غير ذلك من الخواتم
التي لا يبقى للنفوس بعدها تطلع ولا تشوق إلى شيء آخر وكيف لا وكلام الله تعالى في الطرف الأعلى من
البلاغة والغاية القصوى من الفصاحة وقد أعجز مصاقع البلغاء وأخرس شقاشق الفصحاء ولما كان
في هذا نوع خفاء بالنسبة إلى بعض الأذهان حيث افتتح بعض السور بذكر الأهوال والأفزاع وأحوال
الكفار وأمثال ذلك كقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله تبت يدا أبي لهب
وتب وغير ذلك وكذا خواتم بعض السور مثل قوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين وإن شانئك هو الأبتر
ونحو ذلك أشار إلى أن هذا إنما يظهر عند التأمل والتذكر للأحكام المذكورة في علمي المعاني والبيان وأن لكل
مقام مقالا لا يحسن فيه غيره ولا يقوم مقامه وهذا معنى قوله يظهر ذلك بالتأمل مع التذكر لما تقدم
من الأصول المذكورة في الفنون الثلاثة وتفاصيل ذلك مما لا تفي لها الدفاتر بل لا يمكن الاطلاع على
كنهها إلا لعلام الغيوب ۝ وهذا ما أردنا جمعه من الفوائد ونظمه من الفرائد مع توزع البال

Copyright © King Saud University